

تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع

الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

Information and communication technologies and their impact on value change in urban society: an analytical sociological approach

فايزة بوعمامة، المركز الجامعي سي الحواس بركة (الجزائر) fayza.bouamama@cu-barika.dz

تاريخ قبول المقال: 30-04-2026

تاريخ إرسال المقال: 01-01-2026

ملخص:

يتناول هذا المقال تأثير تكنولوجيات الإعلام والاتصال على القيم الاجتماعية في المجتمع الحضري مبرزاً التغيرات التي أحدثتها هذه التقنيات على روتين الحياة اليومية والعلاقات الاجتماعية في الوسط الحضري. أظهرت نتائج الدراسة أن التكنولوجيا الحديثة ووسائل الإعلام الرقمية والشبكات الاجتماعية لعبت دوراً مزدوجاً حيث ساهمت في تعزيز التواصل الاجتماعي والانفتاح الثقافي الواسع، غير أنها في المقابل أدت إلى تآكل واندثار بعض القيم التقليدية الأصيلة وتنامي الفردية. فالاستخدام المفرط لهذه الوسائل، نتج عنه ضعف الروابط خاصة الأسرية منها، ونقص روح الانتماء، فصعدت بذلك قيم جديدة مثل الفردية والاستقلالية، والانفتاح على الآخر وغيرها من القيم التي أثرت بشكل ملحوظ على المجتمع.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيات الإعلام والاتصال، التغير القيمي، المجتمع الحضري.

Abstract:

This article examines the impact of information and communication technologies (ICTs) on social values in urban society, highlighting the changes these technologies have brought about in daily life routines and social relationships within urban environments. The study reveals that modern technology, digital media, and social networks have played a dual role: while they have contributed to enhanced social interaction and broader cultural openness, they have also led to the erosion and disappearance of some authentic traditional values and the rise of individualism. The article also discusses the challenges faced by urban society (cities) due to the excessive use of these technologies, which has resulted in weakened social bonds, particularly familial ones, and a diminished sense of belonging. This has given rise to new values such as individualism, independence, and openness to others, among others, which have significantly impacted society.

Keywords: Information and communication technologies, value change, urban society.

مقدمة:

يُعدّ القرن الحادي والعشرون قرن التحولات السريعة في مختلف الجوانب الاجتماعية للحياة، حيث شهد المجتمع الحضري نموًا وتحولًا غير مسبوقين بفعل الثورة التكنولوجية وظهور وسائل الاتصال الحديثة. وقد نتج عن هذا التطور نوع جديد من الاندماج بين أدوات الاتصال التقليدية والتكنولوجيات الحديثة والمعلومات المعاصرة، ما أفرز ما يُعرف بالاتصال التفاعلي.

أدى ظهور منصات التواصل الاجتماعي، والمنصات التفاعلية، وغيرها من الوسائط الرقمية، إلى تغيير مفهومي الزمان والمكان، من خلال تقليص الوقت وتقريب المسافات بين المجتمعات، وفتح المجال أمام فاعلين اجتماعيين جدد. ولم تعد تكنولوجيا الاتصال مجرد وسائل وتقنيات لنقل المعلومات، بل تجاوز دورها ذلك لتصبح عنصرًا أساسيًا في الحياة اليومية، بل وأحد المؤثرات الكبرى فيها.

كما أصبحت هذه التكنولوجيا أداة لنقل الثقافة، والأنماط السلوكية، والقيم الجديدة إلى المجتمعات المحلية، عبر وسائل متعددة مثل التلفزيون، ومواقع التواصل الاجتماعي، والمنصات الرقمية المختلفة. وقد أسهم هذا الوضع في خلق حالة من الخوف والقلق داخل المجتمعات، لا سيما الحضرية منها، نتيجة تأثير الثقافات الوافدة على الثقافة المحلية، وما يترتب عن ذلك من تغيير في القيم الاجتماعية السائدة وفي أسس النسق الاجتماعي ككل.

يشهد المجتمع الجزائري اليوم، كما هو الحال في باقي الدول العربية، انفتاحًا واسعًا على التكنولوجيا الحديثة خاصة في الوسط الحضري حيث تتوفر تغطية الإنترنت. فأغلب البيوت الجزائرية أصبحت تمتلك اتصالًا بالإنترنت، وبممتلك الأفراد أكثر من حساب على منصات التواصل الاجتماعي، في إطار ما يُعرف بالانفتاح على الآخر. وأصبح التواصل مع الأصدقاء من مختلف دول العالم ممكنًا ومتاحًا بطرق متعددة.

وقد أثر هذا الواقع بشكل مباشر في سلوك الأفراد، وأسهم في تغيير بعض المعتقدات، وتبني أفكار وثقافات جديدة تمس بالقيم المحلية السائدة في المجتمع. ويُعدّ هذا التحول من أبرز التحديات الجديدة التي تواجه المدن الجزائرية، نظرًا لتداخل العالم الرقمي مع حياتنا اليومية، وتأثيره في عاداتنا الثقافية، ومهاراتنا الاجتماعية ومنظومتنا القيمية والأخلاقية السائدة.

وانطلاقًا من هذا الطرح تمحورت إشكالية الدراسة في طرح التساؤلات التالية: إلى أي مدى ساهمت تكنولوجيات الاعلام والاتصال في التغير القيمي داخل المجتمع الحضري؟ أو بمعنى آخر كيف ساهمت تكنولوجيا الاعلام والاتصال في إعادة ترتيب القيم الاجتماعية في المجتمع الحضري؟

ولأهمية الموضوع حصرت أهداف الدراسة الوصول إلى تقديم إضافة علمية جديدة تربط تكنولوجيات الاعلام والاتصال بالوسط الحضري. مع تحليل التغيرات التي تحدثها تكنولوجيا الاعلام والاتصال على القيم في الوسط الحضري، ومحاولة الكشف عن العلاقة الترابطية بين تكنولوجيا الاعلام والاتصال وتغير القيم في المجتمع

تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

الحضري، بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي من خلال وصف الظاهرة وتحليل العوامل التي ساهمت في تغيّر القيم في وسط الحضري في ظل التكنولوجيا الحديثة.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

يعتبر الإطار المفاهيمي من أساسيات الدراسات العلمية من أجل ضبط المفاهيم والمصطلحات التي لها علاقة مباشرة بموضوع دراستنا، لإعطائها دلالات إجرائية تساعد على الفهم الجيد للمفاهيم المستخدمة من أجل تفادي تداخل المفاهيم مع بعضها البعض.

المطلب الأول: تكنولوجيات الإعلام والاتصال

لعلّ من الصعب العثور على تعريف لمفهوم تكنولوجيات الإعلام والاتصال يحيط بجميع جوانبه ويلم بكل عناصره ومركباته. وهذا راجع لتنوعه واختلاف التعارف التي تناولته.

من أهم التعاريف ونذكر منها: أنها "عبارة عن مجموعة من الموارد والأدوات التكنولوجية المستخدمة لنقل أو مشاركة أو تخزين المعلومات عبر أجهزة الحواسيب وشبكات الإنترنت والاتصال وغيرها".¹

فتكنولوجيات الإعلام والاتصال إذا هي كل الوسائل التقنية من هواتف وحاسب وغيرها التي من خلالها نستطيع الوصول إلى الوسائط الرقمية المختلفة من خلال شبكة الأنترنت والتي تتيح لنا نقل المعلومات والثقافات والرموز بين الأفراد ضمن الوسط الحضري. أو مجموعة التطبيقات المختلفة والوسائط الإلكترونية المتنوعة يمكن الوصول إلى شبكة من العلاقات الإلكترونية من أجل تحقيق التواصل والتفاعل مع الآخرين عبر مختلف الوسائط الفيسبوك، تويتر، أنستجرام، تيليجرام، وغيرها.

المطلب الثاني: القيم والتغير القيمي في التفكير السوسيولوجي

يعتبر مفهوم "القيم والتغير القيمي" في علم الاجتماع. من بين المفاهيم التي يكتنفها الغموض والتعقيد فقد يستخدم مفهوم "القيم" في المعتقدات المشتركة حول ما هو جيد ومهم، وتُشكل معايير للسلوك، بينما "التغير القيمي" يشير إلى تحول هذه المعتقدات بمرور الوقت نتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية والتكنولوجية، مما يؤثر على دور القيم كضوابط اجتماعية وظهور قيم جديدة أو تراجع قيم تقليدية. يتأثر هذا التحول بالظروف الاقتصادية، والتطور المعرفي، والتواصل، مما يجعل دراسة القيم والتغير فيها مجالاً متجدداً لفهم ديناميكيات المجتمع.

¹ - محمد الصيرفي، إدارة تكنولوجيا المعلومات، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 2009

أولا/ القيم:

يعرف "عنديز" القيم بأنها منظومة الأفكار التي تحدد ما هو مهم ومحبيب ومرغوب في المجتمع وهي بذلك تضيف المعنى وتعطي مؤشرات إرشادية لتوجيه تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي.¹

للقيم إذن أهمية كبيرة فهي مبادرة العين الساهرة والحارس على أي تغير داخل المجتمع لأنها تعمل على ضبط التفاعلات المختلفة بين الأشخاص.

ثانيا/ التغير القيمي:

في الحقيقة مفهوم التغير القيمي من بين المفاهيم التي قد يستخدمها البعض بشكل ضيق ليقصر على بعض التقاليد والعادات أو تلك التغيرات التي تحدث بشكل سريع في الطرق الشعبية، وقد يتسع البعض في استخدام مفهوم التغير القيمي ليضم كل تحول أو تغير في القيم الثقافية للمجتمع، من المعروف أرجاء النسق القيمي سرعان ما يمسه الركود والفتور بسبب ظروف اقتصادية واجتماعية متغيرة ومتجددة، وبما أن هذه الظروف خاضعة لقانون التغير المستمر فالقيم كذلك لم تسلم من التغير رغم أنها تتصف بالثبات والاستمرارية والديمومة.²

إذا يمكن أن تكون عملية التغير الثقافي - والتي تعد القيم جزء منها - في شكل تغيرات بسيطة في العادات اليومية الموجودة، فتبدأ هذه التغيرات محدودة الحجم والانتشار، غير أن تراكمها مع الوقت يبدأ في الاتساع والانتشار شيئا فشيئا، ثم تبدأ نتائج هذا الانتشار بالبروز من خلال تحول القيمة إلى شكل جديد، والتغير في القيم حقيقة يعد عملية أساسية تكون مصاحبة للتغير في بناء المجتمع، الممر الذي يؤدي إلى تغير هرمية القيم وتسلسلها داخل النسق القيمي العام للمجتمع، فالتغير يشمل أيضا مضمون القيمة ومعناها، إذ يمكن ملاحظة أن بعض القيم ترتفع أو تنخفض وتتبادل مراكزها داخل النسق القيمي. وحتى سرعة هذا التغير تختلف حسب القيمة ونوعها فنجد أن القيم الأخلاقية والروحية تغيروا يكون بطيء، في حين القيم الاقتصادية، والتي غالبا ما تكون متعلقة بالاستهلاك اليومي وبالمال تتأثر بسرعة أكبر. ومع انتشار التكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة، أصبح لها دور مباشر في تسريع وتيرة هذه التغيرات، لأنها تعمل على نقل الأفكار والسلوكيات والقيم الجديدة بسرعة بين الأفراد والمجتمعات المختلفة ما يجعلها تؤثر على تسلسل القيم وطرق تبنيها في الحياة اليومية.³

المطلب الثالث: المجتمع الحضري بين التقليدي والمحدث

1 - أنتوني غنديز، علم الاجتماع مع المذخلات عربية، ترجمة فايز الصباغ وآخرون، ط1 المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005،

2 - دوداح علجية وماقري مليكة، التحولات القمية الاجتماعية لدى الشباب الجزائري، د س، د ط، ص 176

3 - إبراهيم محمد الشافعي، الاشتراكية العربية كفسلفة للتربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981،

تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

تناول العديد من الباحثين والممارسين في مجال علم الاجتماع أبعاد المجتمع الحضري بين التقليدي والمحدث كل حسب توجهه ومجال دراسته، وبمراجعة العديد من الأدبيات السابقة التي تناولت المفهومين يتبين ما يلي:

أولاً/ المجتمع الحضري:

المجتمع الحضري هو مجموعة متنوعة من الأشخاص تقطن في بيئة حضرية أو مدينة وتنتم إلى أسلوب حياة معين بحيث يتجاوب مع خصائص الحجم والكثافة واللاتجانس¹. فالمجتمع الحضري اليوم هو المدينة بكل تعقيداتها، إذ تتميز عن الريف بالحجم الكبير والانتشار الواسع للبنائيات العمودية والمراكز التجارية الكبرى والمستشفيات وغيرها والكثافة السكانية مرتفعة جداً إذ لا يمكن أن نقول عن تجمع ما أنه مدينة إلا إذا تجاوز عدد سكانه نسبة معينة وتختلف هذه النسبة باختلاف الدول كما تمتاز باللاتجانس بحيث تشهد تقارب فيزيقية والتباعد الاجتماعي ولها نظام اجتماعي تحتكم إليه يختلف عن ما هو موجود في الريف. إذن في الحياة الحضرية تؤدي إلى تغيير القيم المجتمعية وهذا بسبب تغيير في أنماط الحياة والروابط الاجتماعية ومن بين أهم العوامل التكنولوجية الحديثة التي ساهمت في إدخال قيم وثقافات جديدة إلى المجتمعات الحضرية التي تعد أكثر تأثراً بالتكنولوجيا من الريف الذي لا تزال العديد من المناطق فيه غير مغطاة بشبكات الإنترنت ولا يوجد فيه احتكاك دائم بالتكنولوجيا.

المطلب الرابع: الدراسات السابقة

تناول العديد من الباحثين في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، كل حسب توجهه ومجال دراسته، وبمراجعة العديد من الأدبيات السابقة التي تناولت موضوع الدراسة لغرض التمكن من المقارنة والاستدلال ضمن بعض الجوانب المتعلقة به، في سبيل البحث عن الموضوعية وتحقيق أوسع للموضوع.

أولاً/ دراسة فريدة فلاك، العلمي لعجال: التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال وأثرها على التغير القيمي لدى الشباب الجزائري-دراسة ميدانية على عينة من طلبة الإعلام والاتصال بجامعة -تبسة-

جاءت هذه الدراسة للوقوف على الدور والتأثير الذي تفرزه التكنولوجيا خاصة الحديثة على قيم الشباب لأنهم الأكثر استعمالاً لها وأكثر تأثراً بها. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف استخدمت الدراسة المنهج الوصف التحليلي الذي يعد الأنسب لمثل هذه الدراسات وكانت أداة البحث عبارة عن مقابلة نصف مقننة. فكانت العينة قسدية وكان حجم العينة 15 طالب من قسم الإعلام والاتصال. أما فيما يخص المقاربة النظرية التي اعتمدتها الدراسة فكانت النظرية الحتمية القيمية وخلصت الدراسة إلى نتيجة مفادها أن للتكنولوجيا الحديثة للإعلام

¹ - معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للتوزيع والنشر، ط2، لبنان بيروت، 1986، ص130.

تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

والاتصال ساهمت في إحداث تغيرات في القيم السائدة وخاصة لدى الشباب. وهذا التغير ينقسم حسب الدراسة إلى جزئين جزء سلبي وآخر إيجابي كما لا ننسى مساهمتها في تعزيز الثقافة الاستهلاكية خاصة عند الشباب. **ثانيا/ دراسة عياد كمال: تكنولوجيات الإعلام والاتصال وتأثيرها على قيم المجتمع الجزائري للشباب الجامعي بتلمسان نموذجا الدراسة عبارة عن أطروحة دكتوراه**

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تأثير تكنولوجيات الإعلام والاتصال على منظومة القيم في المجتمع الجزائري، وذلك من خلال رصد وتحليل أنماط استخدام هذه التكنولوجيا لدى فئة الشباب الجامعي، إلى جانب دراسة طبيعة المحتوى الإعلامي المتداول، وانعكاساته على سلوكهم اليومي. وانطلقت الدراسة من تساؤل رئيسي مفاده: ما مدى تأثير وانعكاس تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وما تحمله من قيم، على الشباب في المجتمع الجزائري؟

واعتمدت الدراسة على المنهج الوظيفي الذي ينظر إلى المجتمع باعتباره نسقاً متكاملًا تتفاعل مكوناته فيما بينها، حيث يؤدي كل جزء وظيفة محددة تسهم في تحقيق التوازن والاستقرار داخل النسق الاجتماعي الكلي. كما استخدم الباحث أسلوب المسح الوصفي بالعيّنة، مع الاعتماد على الاستمارة كأداة رئيسية لجمع البيانات، والمقابلة كأداة مساعدة مرافقة لمختلف مراحل البحث. وتم اختيار العيّنة بطريقة عشوائية. وقد خلصت نتائج الدراسة إلى أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال أسهمت في إحداث بعض السلوكيات الإيجابية خاصة في أنماط الاستهلاك وطرق التواصل مع الآخرين، غير أنها في المقابل ساهمت في إحداث نوع من التباعد داخل الأسرة، حيث أصبح التواصل بين أفرادها يتخذ طابعاً غير مباشر، كما أن للتكنولوجيا تأثيرات إيجابية فكانت متنفس للشباب بحيث يستطيع التعبير عن رغباته وأرائه بكل أريحية.

ثالثا/ دراسة محمد حناوي تكنولوجية ووسائل الإعلام والاتصال وأثرها في قيم الأسرة الجزائرية

عملت هذه الدراسة إلى تقديم مقارنة علمية لكيفية محافظة الأسرة، باعتبارها اللبنة الأساسية في بناء المجتمع، على منظومة قيمها في ظل التحديات التي تفرضها التكنولوجيا الحديثة بمختلف أدواتها، كالهاتف الذكي وغيرها، وما قد تسببه من نزعة نحو الفردانية. وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي في تحليل منظومة القيم الأسرية، وبيان كيفية تشكلها وآليات مقاومتها للتغيرات المفروضة، مع الاستعانة بكل من المنهج الاستقصائي والمنهج الاستقرائي في عملية المعالجة والتحليل.

وانطلقت الدراسة من تساؤل رئيسي مفاده: ما أسباب وحجم الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام ووسائط الاتصال في التأثير على منظومة القيم داخل الأسرة الجزائرية؟ وقد خلصت نتائج الدراسة إلى وجود علاقة وثيقة بين تكنولوجيا الإعلام والاتصال والقيم الأسرية، حيث أسهمت هذه التكنولوجيا في تعزيز النزعة الفردانية داخل الأسرة وتغليب قيم حب الذات على حساب القيم الجماعية.

تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

وختامًا، تؤكد الدراسة أن التغيير يُعدّ أمرًا حتميًا وضروريًا داخل المجتمع، غير أنه ينبغي أن يكون تغييرًا واعيًا ومراقبًا، دون المساس بالإطار الاجتماعي والقيمي الذي يحكم تماسك الأسرة والمجتمع. فهذه الدراسات مهمة خاصة أنها تتوافق ودراستنا بشكل كبير لأنها بحثت في تأثير التكنولوجيا على القيم في المجتمع، فكانت بوصلة الطريق لنا في تحديد مؤشرات دراستنا وأبعادها المختلفة.

كتعقيب على الدراسات السابقة يمكن القول بالرغم من أهمية الدراسات التي تناولت تأثير تكنولوجيات الإعلام والاتصال على منظومة القيم إلا أنها في مجملها كانت دراسات وصفية ركزت على رصد مظاهر التغير دون الخوض في تحليل وتفسير آلياته العميقة، كما نجدها لم تتطرق إلى التغير القيمي ضمن السياق الحضري باعتباره نسقا اجتماعيا متميزا يحتكم إلى ديناميكيات خاصة مثل الفردية والعقلنة والتسارع... الخ بالإضافة إلى ذلك فجل الدراسات قد افترقت إلى تحليل بنيوي لمنظومة القيم، واقتصرت على تصنيفها إلى إيجابية وسلبية، فلم على تفكيك أنواع القيم، ولم تتطرق إلى ترتيب القيم داخل المجتمع الحضري.

وعليه فهذه الدراسة تسعى إلى تبني مقارنة سوسيولوجية تحليلية تركز على فهم آليات إنتاج التغير القيمي في ظل تكنولوجيات الإعلام والاتصال داخل المجال الحضري.

المبحث الثاني: المقاربة النظرية للدراسة

إن المقاربة النظرية مهمة جدًا في أي بحث أو دراسة، فهي تعد الإطار الذي من خلاله يستطيع البحث فهم وتحليل الظاهرة المراد دراستها. فإن النظريات ليست ترفا فكرياً كما يظن البعض بل أداة عملية للفهم والسيطرة على الواقع الاجتماعي.

المطلب الأول: نظرية التغير الاجتماعي عند بارسنز:

يعد التغير الاجتماعي من القضايا السوسيولوجية التي شغلت الفكر الاجتماعي منذ نشأته إلى يومنا هذا، فاختلفت التعريفات التي تناولته وذلك حسب وجهة النظر المختلفة للعلماء وكذا بسبب التعقيدات الموجودة في الظاهرة نفسها، فكل بحث ركز اهتمامه على جانب واحد من الظاهرة.

فعرف التغير الاجتماعي من الناحية السوسيولوجية على أنه "تلك التحولات والتغيرات التي يكون لها معنى إما جزئي أو كلي بالنسبة للنظام الاجتماعي في أجزائه المكونة له وطريقة الفعل"¹. يتضح من هذا التعريف أن التغير الاجتماعي ظاهرة تمثل المجتمع ككل فتحدث تغيرات في بنائه العامة. فنظرية التغير الاجتماعي تشير إلى تلك الأفكار والمقاربات والنماذج المفسرة التي يعتمد عليها الباحثين في علم الاجتماع لفهم التحولات التي تطرأ على البنية الاجتماعية المكونة من المؤسسات الاجتماعية المختلفة والطبقات الاجتماعية والتركيبية

1 - عبد العالي دبله، مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، دار الخلدونية، الجزائر، 2011، ص88.

السكانية. كما تهتم بالنظم الثقافية باعتبارها إحدى المتغيرات الكبرى في التغير الاجتماعي من خلال دراسة القيم والمعتقدات وكذلك الأعراف ولا تغفل من الدراسة والتحليل السلوك الاجتماعية السائدة فنظرية التغير هنا لا تقتصر تحليلاتها وتقصيها للتغير من خلال الأحداث الكبرى في المجتمع بل تراقب وتلاحظ وتحلل تغير نمط الحياة اليوم. مثل التغير في طريقة التفاعل داخل الأسرة وتغير العلاقات بسبب العوامل التكنولوجية وغيره.¹

إذا في ضوء ما تم طرحه من خلال أفكار هذا التوجه النظري نجد أن التحولات والتغيرات التي تحدث في المجتمع هي في الحقيقة استجابة طبيعية لاستخدام الأدوات التكنولوجية الحديثة بشكل واسع، إذ يسهم ذلك في تعديل نظم القيم السائدة كما يؤدي إلى ظهور أنماط تفاعل اجتماعي جديدة داخل الأسر الحضرية فينتج تغير قيمي بين ما يعرف بالتحديث في مقابل التغير الثقافي.

يستند النهج المعتمد هنا إلى المنظور الوظيفي البنوي الذي طوره بارسونز، والذي يُصور التغير الاجتماعي كعملية تكيفية يسعى النظام الاجتماعي من خلالها إلى إعادة تنظيم نفسه في مواجهة التحولات التكنولوجية. ومع ذلك يظل هذا المنظور على الرغم من قيمته التفسيرية، محدوداً في قدرته على استيعاب تعقيد التحولات القيمة في البيئات الحضرية. فهو يميل إلى اختزال هذه التحولات إلى بُعدها التكيّفي فقط، متجاهلاً التوترات والصراعات القيمة التي قد تنشأ عن الانتشار الواسع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات. علاوة على ذلك، يُقلل هذا المنظور من شأن دور الفاعلين الاجتماعيين في إعادة تفسير هذه التقنيات واستخدامها ضمن سياقات ثقافية مختلفة. وبالتالي يتطلب فهم التحولات القيمة في البيئات الحضرية تجاوز النهج الوظيفي وتبني نهج أكثر شمولية يدمج الأبعاد البنوية والتفاعلية والثقافية.

المطلب الثاني: نظرية "بورديار" حول المجتمع الاستهلاكي:

من الصعب إيجاد مفهوم لمصطلح المجتمع الاستهلاكي. في الحقيقة لم يكن المصطلح منتشر فقد بدأ تداوله بعد الحرب العالمية الثانية وبالضبط بعد قيام الثورة الصناعية. فكان مصطلحاً في بدايته اقتصادياً إذ كان يشير إلى استهلاك السلع والمنتجات التي عرفتها الأسواق بسبب التصنيع. فكان هناك فائض في الإنتاج ولا بد من تشجيع المواطن على استهلاكه.

حيث يشير "بورديار" إلى المجتمع الاستهلاكي على أنه مجتمع ناتج عن التكنولوجيا الحديثة المعاصرة التي ظهرت في الدول المتقدمة كنتيجة طبيعية للتطور. خاصة أنها تعرف ارتفاع الدخل فكان الاستهلاك يمثل عند "بورديار" خاصية من خصائص المجتمع المتقدم. فبعد أن أصبح هذا المجتمع قادر على تلبية حاجاته الأساسية توجه إلى الكماليات. فأعتبر الاستهلاك استجابة عالمية للمنظومة الثقافية. فأصبحت الأشياء التي نفتقها لا تعبر عن استعمالها في الحقيقة وإنما تعبر عن معناها الثقافي. وهذا ما نجده جلياً في قوله "نحن محاطون بأشياء تنتج

¹ - أحمد مدغي، نظرية التغير الاجتماعي، كيف ولماذا تتغير المجتمعات، <https://www.mojtamaafikr.com>

بكميات هائلة ويبدو وكأنها ليس لها فائدة جلية، إن قيمتها لا تستمد من وظيفتها بل من معناها الثقافي، ليصبح فعل الاستهلاك حدثاً اجتماعياً¹

هنا من خلال هذه الفكرة نرى أن ثقافة الاستهلاك تغيرت لتصبح فعلاً اجتماعياً. فالتكنولوجيا هنا أداة حاسمة في التسويق للاستهلاك. فأصبح المجتمع اليوم مجتمع مستهلك بشكل مفرط خاصة في مجال الثقافة والموضة. فأضحى للتكنولوجيا دوراً أساسياً في توزيع الرأسمال الرمزي والثقافي مما يؤثر على أولويات الأفراد وعلى القيم الاجتماعية السائدة.

من خلال هذا الطرح لم يعد الاستهلاك مقتصرًا على تلبية الاحتياجات المادية، بل أصبح ممارسة رمزية تعكس انتماءات الأفراد ومكانتهم داخل النظام الاجتماعي، ومع ذلك فإن هذه الحجة على الرغم من أهميتها تستحق مزيداً من البحث من خلال دمج البعد النقدي الذي أبرزه بودريار، لا سيما فيما يتعلق بالاستهلاك كنظام من العلامات يُنتج واقعاً مُفرطاً تهيمن عليه الصور والرموز بدلاً من الحقائق المادية. علاوة على ذلك، فإن اختزال التكنولوجيا إلى دورها الأداتي البحث يُخفي مكانتها ضمن نظام رمزي أوسع يُسهّم في إعادة إنتاج القيم والمعاني وبالتالي، فإن فهم التحولات القيمية داخل المجتمع الحضري يتطلب تحليل الاستهلاك كآلية لإعادة تشكيل الهوية والقيم في سياق الهيمنة المتزايدة للثقافة الرقمية.

تعليق على النظريات المطروحة:

يسعى الإطار النظري المعتمد إلى الجمع بين منهج بارسونز البنوي الوظيفي، الذي يفسر التغير الاجتماعي كعملية تكيف ضمن النظام الاجتماعي، ومنهج بودريار النقدي، الذي ينظر إلى المجتمع المعاصر كمجتمع استهلاكي تحكمه الرموز والمعاني أكثر من الاحتياجات المادية. هذا التكامل ضروري لفهم تطور القيم في البيئات الحضرية، حيث لا يقتصر الأمر على إعادة تنظيم البنى الاجتماعية فحسب، بل يشمل أيضاً إعادة تشكيل المعاني الثقافية المرتبطة بالاستهلاك والتكنولوجيا. مع ذلك، سيستفيد هذا الإطار النظري من تطويره بشكل أكبر من خلال دمج أبعاد الصراع وعدم المساواة الاجتماعية، بالإضافة إلى تسليط الضوء على دور الفاعل الاجتماعي في إعادة إنتاج القيم. سيتيح ذلك فهماً أكثر شمولية وديناميكية لتحولات القيم في سياق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

المبحث الثالث: التغيرات القيمية في المجتمع الحضري

إن الحديث عن القيم والتغيرات القيمية يعد من المواضيع الأكثر جدل بين مؤيد ومعارض وهذا بسبب تحولات السرعة التي مست الثقافة والقيم المجتمعية عامة. فبات الصراع اليوم ثقافي قيمي فالدول تحارب الإيديولوجيات والثقافات الداخلية عليها وأساس الصراع حول القيم هو التكنولوجيا للإعلام والاتصال الحديثة التي

1 - آمال علاوشيش، في نقد المجتمع الاستهلاكي، حوليات جامعة الجزائر 01، العدد 32، الجزء 3، سبتمبر 2018

طغت على المجتمعات وغيّرت عدة مفاهيم وثقافات، فمن خلال منصات التواصل الاجتماعي تدار العلاقات وفيها يعاد إنتاج وبناء قيم جديدة.

المطلب الأول: صور التغير في منظومة القيم في المجتمع الحضري

شهد العالم مؤخراً تحولات جذرية مست جميع مناحي الحياة الاقتصادية السياسية، الاجتماعية والثقافية وحتى الدينية. وهذا بعد تنامي فكر القيم العالمية الذي شهدنا تسويقاً له من قبل الدول الكبرى المالكة للقوة فسوقت لقيّمها على أساس أنها قيم مثلى تشجع على التنمية والتطور ولا بد من الاقتداء بها، فأصبح لدراسة القيم شأن عظيم خاصة في العلوم الاقتصادية والاجتماعية وتعطى له أهمية بالغة في الدراسات الثقافية والحضارية. فالتحولات القيمية إذن هي مجموعة تغيرات التي تمس منظومة القيم والمعايير خاصة في الوسط الحضري، فنتقل القيم من طبيعتها التقليدية الجماعية إلى قيم حديثة ذات طابع فردي عقلاني وهذا بفعل الخصوصية الحضرية التي تميز المدينة عن الريف، من أهم صور التغير نجد:

أولاً/ الأسرة: تعتبر الأسرة الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي، فهي من المؤسسات الاجتماعية التي تحلّ الصدارة في النظام الاجتماعي. وهي أول مستقبل لنا بعد الولادة، فيتعرّج الإنسان في كنفها، فتعمل على تكوين خبراته وسقلها، وفيها تبنى شخصيتنا وتزودنا بما هو ضروري من أجل تحقيق التكيف مع البيئات المختلفة، فهي مصدر أساسي لضبط السلوك ومصدر الأخلاق.¹

أما إذا تحدثنا عن الأسرة الحضرية، فإننا نقصد بها الأسرة التي تقطن في المدن، لأنها عادة تكون أسرة نووية غير ممتدة تتكون من الأب والأم والأبناء وتكون مختلفة في تركيبها وخصائصها عن الأسر في الريف. في السياق نفسه نجد **تالكوت بارسنز** الذي يعتبر من المنظرين المعاصرين للأسرة. عالج الأسرة الحضرية وفق النظرية البنائية الوظيفية فيعتبرها نواة صغيرة داخل حلقة واسعة التي تمثل المجتمع الكبير.²

فمن خلال تحليله البناء الوظيفي نستطيع تلخيص الأسرة في النقاط التالية:

- الأسرة عبارة عن نسق عام، ومكونات الأسرة (الأب والأم والأبناء) هي أنساق فرعية ذات تداخل وظيفي في تكوين البناء العام.

- حدد كذلك لكل نسق وظيفة معينة خاصة به ضمن النسق العام وخلص في النهاية إلى أن الأسرة هي نتيجة كل تلك الأدوار التي يؤديها الأفراد مجتمعة.

لقد تعرض المجتمع الحضري الجزائري كغيره من مجتمعات دول العالم الثالث والعالم العربي على وجه التحديد إلى تحولات سياسية واقتصادية عميقة، فانعكست هذه التحولات بشكل كبير وواضح على البناء الاجتماعي بصفة عامة وعلى الأسرة خاصة، فحدثت تغيرات جذرية على الخصائص التقليدية للأسرة. مس هذا التغير بناءها

¹ - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأسرة والمجتمع دراسة في علم الاجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2012.

² - سامي مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، ط1، دار المعارف، مصر 1982.

تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسولوجية تحليلية

وتركيبتها ودورها وحتى وظائفها، فأدى ذلك إلى بروز قيم جديدة على الأسرة التقليدية، ويعز ذلك بالأساس إلى التحضر والتصنيع وما انجر عنه من هجرات داخلية نحو المدن وتشرب ثقافة جديدة ونمط حياة مخالف لما كان موجود. فأبرز هذه التحولات والتغيرات تمثلت في:

التحول في تركيبة الأسرة:

إن التطور الذي شهده المجتمع الجزائري بعد الاستقلال إلى يومنا هذا في المجال الاقتصادي والتعليمي وظهور التصنيع والتوجه نحو التحضر صاحبه تغير في حجم الأسرة فانتقل المجتمع من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية الصغيرة وهذا طبعا بسبب متطلبات الحياة الحضرية التي تفرض العيش ضمن أسر صغيرة وهذا لعدة أسباب:

- ضيق المسكن في الوسط الحضري فالمساكن مصممة للأسرة النووية خاصة أن مساحتها صغيرة ولا تتوفر على عدد غرف كافٍ وكلها تقريبا سكنات اجتماعية ففي دراسة قمنا بها لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع الحضري وجدنا أن الأغلبية الساحقة للمساكن هي عبارة عن سكنات لا يتجاوز عدد غرفها 2 غرف مع صالة للضيوف ما اضطر جل الأسر المبحوث من تحويل المطبخ إلى غرفة والشرفة أصبحت مطبخ رغم المخاطر الناجمة عن ذلك ما اثر على العلاقات الأسرية (أصبحوا لا يحبذون قدوم الضيوف لأنه صراحة لا يوجد مكان لنومهم)¹
- زد على ذلك خروج المرأة للعمل كذلك ضمن الأسباب التي تحتم وجود أسرة صغيرة وظهور الفردية في أعلى صورها كذلك الظروف الاقتصادية تحتم التوجه إلى هذا النوع من التنظيمات الاجتماعية.
- البحث عن الحرية والتحرر من القيود شجع على قيام مثل هذا النوع من الأسر فنجد ريمون بودون في هذا الصدد يرى أن الأشخاص يميلون إلى النزعة الفردية وهذا من خلال بحثهم الدائم عن الاستقلالية الفردية فكل فرد يسعى للعيش وفق ما يراه مناسب وبالطريقة التي يستطيع تحقيق طموحاته وسعادته²
- ومن بين كذلك التغيرات التي مست الأسرة تغير ملحوظ في السلطة في وقت مضى كان للشيخ الكبير دور مهم في عائلة والمجتمع الذي ينتمي إليه لأنه في الحقيقة يمثل رمز للحكمة والتدين والخبرة فيرجع لرب العائلة في حل المشاكل والنزاعات وحتى في الزواج والطلاق وغيرها من الأمور المتعلقة بالحياة اليومية، لكن الأمر تغير مع الأسرة الحضرية الحديثة فأصبح الفرد يقيم على منصبه ومكانته المادية وعند حل المشاكل يرجع إلى السلطة القانونية بدل العرف والجماعة فتراجع أو اندثر دور كبار العائلة وحل محله القانون والمكانة المادية والعلمية.

¹- بوعمامة فايزة، المجال السكني والبعد الاجتماعي دراسة ميدانية على عينة من سكان مدينة علي منجلي قسنطينة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص علم اجتماع تنظيم وتسيير المدن، 2013/2012، مذكرة غير منشورة.

² - Boudon Raymond ,*Déclin de la morale ? Déclin des valeurs ?*, Presses Universitaires de France, Paris, 2002, p98.

ثانيا/ تراجع علاقات الجيرة والعلاقات الاجتماعية:

فالحضرية أثرت بشكل كبير على العلاقات الاجتماعية فحدث تباعد اجتماعي وفتور في العلاقات خاصة أن المجتمع الحضري مجتمع مصلحة، والتعامل فيه يكون بطريقة عضوية فالعلاقة لم تعد تحل مكانة مهمة في المجتمع، فنجد تقارب فريقي شديد وتباعد اجتماعي، وهذا بسبب عدم معرفة الجيران بعضهم لبعض والخوف والتوجس من الأطراف الأخرى فالإنسان في المدينة في حالة تأهب دائمة وكأنه في حرب لأنه لا يعرف الأشخاص الذين يتعامل معهم فيضع دوما مسافة أمن بينه وبين من يتعامل معهم.¹

ظهرت إذا علاقات جديدة قائمة على التجارة والعمل والتقارب في المساكن لكنها في الغالب علاقات سطحية مختلفة تماما على ما هو موجود في الريف، وما زاد من هذه الفجوة في العلاقات هو التطور التكنولوجية الذي طغى بشكل ملحوظ على المجتمع والحياة اليومية فالعلاقات اليوم تدار في منصات للتواصل الاجتماعي حتى الزيارات في الأعياد والمناسبات أصبحت شبه منعدمة، يكفي الشخص بإرسال رسالة نصية أو التواصل عبر فيديو مع أقاربه دون الذهاب إليهم رغم قرب المسافة.

ثالثا/ التضامن:

يعد التعاون والتضامن من القيم الجماعية التي تشجع على التمسك والارتباط بالجماعة والابتعاد عن الفردية والمصلحة الخاصة، في السابق كان معظم الأعمال التي تنجز تكون بتضامن وتعاون عدد من الأفراد سواء من أسرة واحدة أو من الجماعة خارج الأسرة الجيران فكان التضامن في أعلى صورته خاصة في وقت الأعراس أو الجنائز وتظهر بوضوح في حصاد الغلة لأن معظم عمليات الإنتاج كانت فلاحية بالدرجة الأولى فكانت التوزيعة تمثل أرقى التضامن فكل الأشخاص يساعدون بعض بدون مقابل فيتجربون من الفردية ويندمجون في الجماعة ويزيد ارتباطهم وتماسكهم أكثر، غير أن هذه الميزة الأساسية قد فقدت في المجتمع الحضري لأن علاقة القرية تقل وتبتعد وعلاقات الجيرة تكون سطحية لتحل محلها علاقات سطحية ومصالحية وتقسم للعمل فيتخذ التضامن طابعا رسميا مثل الجمعيات ومراكز دعم وغيرها وهذا طبعا يرجع الى طبيعة الحياة الحضرية الذي يمتاز بالسرعة والتغير والتكنولوجية الحديثة ونمط الإنتاج ودخول الماكينة في عملية الإنتاج والانتقال من الإنتاج الفلاحي إلى الصناعي.

وفي هذا الصدد نجد "ايميل دوركايم" تحدث عن الروابط التي تجعل المجتمع أكثر تماسكا والروابط التي تضعف التماسك الاجتماعي وقد قسمها الى قسمين:

- **التضامن الآلي:** وهو ميزة خاصة بالمجتمعات التقليدية والبسيطة نستطيع القول الريف، فيكون فيها تشابه الأفراد وتجانسهم خاصة في العادات والقيم والمعتقدات وطرق العيش. فيتركز التضامن الآلي على الوعي

¹ - بوعمامة فايزة مرجع سبق ذكره

الجماعي الذي يوجه الأفراد ويكون الساهر على توجيه سلوكهم، فيحدث اصهار الفرد داخل الجماعة وتكون الأولوية للمصلحة الجماعية بذل المصلحة الفردية.

- **التضامن العضوي:** يعد التضامن العضوي من المفاهيم الأساسية في نظرية "إميل دوركايم" حول التماسك الاجتماعي، وهو عكس التضامن الآلي. فهو يعتبر سيمة من سمات المجتمعات الحديثة المعقدة، وينتج هذا النوع من التضامن بسبب تطور ونمو الحياة الاجتماعية والتقسيم الشديد للعمل فيكون هناك نوع من التكامل الوظيفي بحيث كل شخص يؤدي مهمة معينة فتتكامل لتحقيق الهدف¹.

فالتضامن العضوي يقلل من الوعي الجماعي، فتبرز الفردية ويتعالى صوت الاستقلالية، طبعاً دون أن يؤدي إلى تفكك المجتمع. ويسطر القانون والضبط الرسمي بدل الإحتكام إلى الأعراف والتقاليد.

المطلب الثاني: صعود قيم جديدة في المجتمع الحضري

إن التحولات التي شهدتها المجتمعات الحضرية جعلت العديد من القيم الجديدة تبرز بشكل واضح في مجتمعاتنا فنجد:

أولاً/ الانفتاح والتعددية:

إن الانفتاح والتعددية في المجتمع الحضري مطلب ضروريا ولا بد منه لأن الحضرية من خصائصها اللاتجانس والتنوع ومن أجل تحقيق التواصل والتأقلم لابد من الانفتاح على الآخر ونقصد به هنا تقبل الاختلاف الديني والفكري وكذا التنوع الثقافي، من أجل التعايش مع حياة مختلفة من حيث القيم وأسلوب الحياة عن الحياة التقليدية.

فالمجتمعات الحضرية أو مجتمع المدينة يتسم بكبره وتنوعه فيستقبل المهاجرين من مختلف الديانات ومختلف العرقيات كما يكون التمازج الثقافي ضروري بسبب الهجرات الداخلية والخارجية فالحياة في المدينة تتطلب تقبل الآخر وفتح مجال للنقاش والتحاور وتبني القيم التي يراها الفرد تتماشى ومبادئه في الحياة، لأنه يتمتع بالحرية على عكس المجتمع الريفي الذي يخضع إلى تبني القيم بلا اختيار بل تفرض عليه من قبل الجماعة المنتمي إليها. فالانفتاح الحضري كما يرى "لويز ويتون" أن الانفتاح يعتبر من القيم الحضرية التي تكون نتيجة للتنوع الخبرات والتجارب وكذلك التفاعلات داخل الوسط الحضري، وهو ما أكدته لويس وارت في نظريته الحضرية كأسلوب للحياة².

¹ - التضامن الآلي والتضامن العضوي عند إميل دوركايم <https://almerja.com/reading.php?idm=191873>

² Louis - Wirth., **Urbanism as a Way of Life.** American Journal of Sociology VOLUME XLIV. JULY 1938 NUMBER 1.

ثانيا/ الاستقلالية:

تعد الاستقلالية من القيم البارزة في المجتمع الحضري فالفرد يستطيع اتخاذ قرارات حياته دون الرجوع للجماعة التي تمثل السلطة في المجتمع الريفي، فالاستقلالية تعتبر قيمة مركزية خاصة بعد تفكك الروابط الاجتماعية والانتقال إلى العلاقات السطحية، مع وجود التعليم وتقسيم العمل كان لازما ظهور الاستقلالية كقيمة أساسية.

بيئة المدينة عامة تخلق جو من التنافس المهني ما يتيح للأفراد التفوق والبروز الفردي وهذا من شأنه أن ينمي فيهم روح الاستقلالية التي تتيح للأفراد التأقلم السريع مع مستجدات العصر الراهن والتطورات التكنولوجية الحديثة وثورة المعلومات .

ففي ظل التكنولوجيا الحديثة أصبحت الاستقلالية مطلب ضروريا لأنها لم تعد مقتصرة على الحياة اليومية بل امتدت إلى القدرة على ضبط الهوية الرقمية، وفي زخم المعلومات الهائل لابد من وجود الاستقلالية لاختيار من المعلومات ما يتناسب مع احتياجاتنا.

فكل هذا يبرز بوضوح وجود قيم متنامية تتماشى والحياة الحضرية وتطورات تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة.

ثالثا/ الحرية الفردية:

الحرية الفردية في الحقيقة هي نتيجة مباشرة للعيش في الوسط الحضري فيتخلص الفرد من القيود التقليدية التي كانت مفروضة عليه وبالتالي يستطيع أن يمارس نشاطاته اليومية بكل حرية، ما زاد من دائرة الحرية وتوسعها تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة، فأصبح الفرد يملك أكثر من حساب على مواقع التواصل الاجتماعي ويستطيع إبداء رأيه بكل حرية، والأكثر من ذلك يستطيع اختيار اللغة التي يحب التواصل بها مع الآخرين ويمكنه أن يختار السياسة التي تتناسب وتفكيره حتى المعتقدات أصبح يتبنى ما يراه مناسباً له بعيد عن كل قيود الأسرية أو المجتمعية.¹

المطلب الثالث: انعكاس التغيرات القمية على العلاقات الاجتماعية:

إن القيم الجديدة التي ظهرت في المجتمع الحضري صراحة قد أحدثت تغيرات ملموسة وواضحة في طبيعة ونوعية العلاقات الاجتماعية في المجتمع الحضري، فكانت العلاقات في المجتمع التقليدي تتخذ طابعا وديا حميميا والتواصل بين الأشخاص تواصل مباشر دون وسائط، كما كان التضامن الاجتماعي في أعلى صورته والمكانة الاجتماعية كانت تقاس بالحكمة والخبرة، والاحترام كان لكبار السن.

¹ - لطيب، مصطفى، التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الحضري: دراسة سوسولوجية. القاهرة، دار الفكر العربي، 2015.

تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

غير أن هذه القيم اختلفت اليوم في المجتمع الحضري وخاصة مع ظهور التقنيات الحديثة والرقمنة فأصبح التواصل غير المباشر هو السائد عموماً، والعلاقات سطحية بسيطة، وزيارة الأقارب شبه منعدمة والمكانة الاجتماعية لأصحاب المال والمتعلمين حتى الولاء والانتماء أصبح مختلف، فكل شخص لديه الحرية في الانتماء للمجموعة التي يراها مناسبة فتتوعد علاقات الانتماء واختلفت خاصة ضمن الوسائط الرقمية.¹

المبحث الرابع: تكنولوجيات الاعلام والاتصال كفاعل سوسيولوجي جديد في التغير القيمي الحضري

لقد بات لأدوات الإعلام والاتصال والتكنولوجية الحديثة دوراً مهماً في إعادة بناء وتشكل القيم الاجتماعية في الوسط الحضري فلم تعد مجرد أدوات للترفيه أو للتسلية بل تعد ذلك بكثير فهي اليوم تعد فواعل سوسيولوجية تؤثر بشكل كبير في إعادة تأسيس قيم جديدة وتحديد المعايير وتشكيل العلاقات الاجتماعية .

فوسائل الإعلام والاتصال بما تملكه من أدوات قد طغت على حياتنا ولا يمكن التملص منها أبداً، فهي من ضمن يومياتنا فتؤثر بذلك على أنماط التفاعل الاجتماعي وعلى روح الانتماء وحتى على التصورات حول دوائنا.

المطلب الاول : مواقع التواصل الاجتماعي كفضاء لإعادة انتاج قيمة جديدة

إن مواقع التواصل الاجتماعي في المجتمع الحضري المعاصر تعد أكثر من مجرد أداة بل أصبحت تمثل فضاء اجتماعياً موازياً، فدورها يكبر يوم بعد يوم في تشكل وبناء قيم جديدة مخالفة للقيم التقليدية التي كانت سائدة في المجتمع. فهي تعمل على وتوجيه سلوك الأشخاص وإكسابهم قيماً جديدة بطريقة غير مباشرة، من خلال التواصل اليوم والصور والتأثر بالثقافات الأخرى.

- من وجهة نظر سوسيولوجية لم تعد لمؤسسات المجتمع أهمية كبيرة في ضبط القيم لأنها حقيقة تتكون وتتشكل من خلال شبكة التواصل المفتوحة على مصرعها أمام الابناء، فالمدرسة والأسرة، والمسجد وغيرها من مؤسسات الضبط قد تقلص دورها وأصبح الخوف والتوجس في أعلى درجاته، لأن القيم اليوم تتشكل وفقاً لما تمليه علينا هذه المنصات الرقمية والخوارزميات، فأنماط التفاعل أصبحت غير مرئية فهناك مجتمع مواز لا مرئياً تفاعلياً مثل المجتمع الحقيقي يملئ على الافراد سلوكياتهم وأفعالهم.²

- كما ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في تعزيز بعض القيم الحضرية في المجتمع الحضري مثل الفردية والعزلة الاجتماعية، كما أنها تركز تمجيد الذات والاعتراف الرمزي (المجتمع التقليدي كانت المكانة لكبار السن، والمجتمع الحضري المكانة لأصحاب المال والعلم، وفي المجتمع الحضري التكنولوجي المكانة للشخص الذي يحصل على أكبر عدد من المشاهدين وأكبر عدد من المعجبين)، فتتراجع الأبعاد الرمزية والتمثيلية وأضحت على الهامش الأبعاد الأخلاقية والجماعية.

¹ - المرجع نفسه.

² - عبد الله الغدامي، الثقافة الرقمية: أسئلة في التحول، المركز الثقافي العربي، الرياض، 2013.

تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

- وتعمل مواقع التواصل الاجتماعي على إضعاف العديد من القيم التقليدية التي في الحقيقة افتقدناها فعلا لأنها تمثل الأصالة، فالمعاصرة قضت على علاقات الجيرة التي تعد من القيم الدينية قبل أن تكون قيمة اجتماعية والتضامن الاجتماعي الذي كان أساسيا فيما مضى للقضاء على الفقر والحاجة، فالعلاقات أصبحت سطحية للغاية ومرتبطة بالمصلحة كما أن قيم الاحترام اندثرت بسبب تبني قيم دخيلة على مجتمعنا.¹
- أما إذا وجهنا نظرنا نحو السياق الحضري الجزائري لوجدنا أن مواقع التواصل الاجتماعي فيها تعد فضاء هجين بين القيم التقليدية الراسخة والقيم العالمية الوافدة التي تدعو إلى تبني التجديد والتغيير، لتفتح المجال أمام فسحة قد تضيق أو تتسع من أجل بناء قيم جديدة تمزج الأصالة مع المعاصرة ولا تمس بالمبادئ الأساسية وتساير التطور التكنولوجي الحديث. لأن العالم الافتراضي اليوم حتمية لا بد منها ولا بد من مواكبتها واللاحق بالركب لكن وفق ما يتماشى مع قيمنا.

المطلب الثاني: الإعلام الرقمي كآلية للضبط الاجتماعي الرمزي

إن للإعلام الرقمي الحديث أثر واضح على الهوية المحلية الحضرية بسبب وجود عالم افتراضي، وزخم هائل من المعلومات لا يمكن التحكم فيها، كما الغيت الديانات واللغات والحدود الجغرافية والمسافات بين الدول بسبب التكنولوجيا الحديثة فكان هناك تشعب بأفكار متنوعة ودخيلة أثرت على الهوية المحلية للأفراد²، ما جعل الإعلام الرقمي يساهم في عملية الضبط الاجتماعي للأفراد في المجتمع الحضري متخذاً طرق وتقنيات حديثة ومختلفة واستخدام أساليب أكثر ذكاء في إيصال قيم جديدة والتشعب بها من خلال الرموز والصور والانتشار والتكرار وغيرها من الوسائل التي تجعل الفرد متقبل للقيم الجديدة .

فمن أجل إعلاء قيمة معينة يقوم الإعلام الرقمي بالتسويق لها على أساس أنها تتال رضى المجتمع فيسوق لها من خلال المحتويات الرقمية ومن خلال المؤثرين الرقميين وغيرها فيقتنع بها الأفراد ويقلدونها بل ويتبنونها في حياتهم اليومية دون وعي أو حتى تحليل لتلك القيم.

وبما أن القيم والمعايير قد أصبحت عرضة للتغير، فقد تغيرت المؤسسات التي كانت تتبناها وتلقونها للأفراد (الأسرة، المدرسة، المسجد...)، وأصبحت هذه القيم تُستمدّ بالدرجة الأولى من المنصات التفاعلية ومن خلال التفاعل اليومي مع عديد المنصات والمواقع، فنجد الإعلام الرقمي هنا يلعب دوراً محورياً في التعريف بما هو صواب وما هو خطأ ويتنافى والثقافة الحضرية المحلية فدور الإعلام الرقمي هنا مهم جداً لأنه يعمل على الرقابة ومحاولة إعادة ضبط المعايير.

¹ - مصطفى الطيب، التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الحضري: دراسة سوسيولوجية، دار الفكر العربي، القاهرة 2015.

² - الاعلام الجديد ومدى تأثيره في المجتمع، <https://democraticac.de/?p=77309>

وفي الجزائر لازال الإعلام الرقمي يسير بخطى ثقيلة بعض الشيء لأنه حقيقة في صراع مع الإعلام التقليدي خاصة في العديد من القضايا المهمة مثل الهوية، وحرية التعبير والحرية الفردية والضبط الاجتماعي وغيره لكنه رغم ذلك يسعى إلى التغيير ومحاولة إعادة ضبط القيم وترتيبها داخل النسق الحضري.

المطلب الثالث: الفضاء الافتراضي والمدينة الشبكية

إن الحديث اليوم عن المدينة أصبح يعد أمرا تقليديا فالسوسولوجية الحديثة اليوم تبحث في أعماق من ذلك فالمدينة في عصر التكنولوجيا قد أصبحت افتراضية لا مرئية يتفاعل الأفراد ضمن شبكة من العلاقات الافتراضية داخل وسائل رقمية ضمن ما يعرف بالمدينة الشبكية.

ففي المدينة الشبكية لا توجد الرقعة الجغرافية ولا توجد حدود زمنية أو مكانية وتلغى الهوية المحلية لتذوب في شبكة العلاقات الافتراضية، وبالتالي يعاد تعريف مجموعة من القيم مثل الجيرة والتضامن والتشارك والانتماء والولاء فلم يعد الولاء لرب الأسرة أو كبير السن بل للمكانة الرقمية في المدينة الشبكية ولم يصبح الانتماء للحي الذي نقطن به بل للشبكة الافتراضية التي ننتمي لها .

"فامانويل كاستلنز" (الذي يعد أهم منظري السوسيولوجيا الذين تحدثوا عن مجتمع الشبكة) يرى أن التحول إلى المدينة الشبكية في الحقيقة هو تحول من المجتمع الحضري الذي يحدد وفقا لمكان جغرافي إلى مجتمع الشبكة الذي تتراجع فيه القيمة المكانية لتحل محلها القيمة الرقمية الافتراضية¹.

ولقد ميز "كاستلنز" بين فضائين الفضاء المكاني الذي تتميز به المدينة التقليدية، والفضاء التدفقي الذي يميز المدينة الشبكية وفي ظل هذا الأخير تبرز قيم حضرية جديدة تتشجع الفردية والاستقلالية، ومحاولة التكيف مع المستجدات المتسارعة .

وعندما نقول وجود مدينة شبكية جديدة هذا طبعا لا يلغي المدينة التقليدية الواعية وإنما ما يحدث هو إعادة تهيئة المدينة التقليدية لتواكب المتغيرات الحاصلة، فينتج تنوع وتعدد في القيم داخل المجال الحضري، فيحدث نوع من التقبل والتعايش بين القيم التقليدية والحديثة مايولد تغير قيمي ناتج عن هذا التزاوج والإستعمال اليومي للتكنولوجيا الحديثة.

¹ - ادريس المغزواني، مانويل كاستلنز، مفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع الى الشبكة: نحو مقارنة تأويلية للهوية والسلطة في عصر

تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

أما إذا أسقطنا هذا المنظور على المدينة الجزائرية لوجدنا أن هناك تأثير واضح للمدينة الشبكية على الأفراد فمعظم الأشخاص في الوسط الحضري يستعملون الفضاء الافتراضي وتأثير ذلك واضحاً على هويتهم من طريقة اللبس وحتى الكلام من خلال اكتساب لغة جديدة وتغير قيم الانتماء لديهم وخير مثال على ذلك الهجرة غير الشرعية (الحرقة). وإذا أردنا دراسة المدينة الجزائرية في عصر التكنولوجيا فإن أقرب تصور نظري نطرحه يكون حول المدينة الشبكية.

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع تكنولوجيات الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، توصلنا إلى أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال لم تعد مجرد أدوات للتواصل الرقمي فحسب، بل أصبح دورها في المجتمع أكبر بكثير من ذلك. فقد غدت من بين الفواعل السوسيولوجية التي تعمل على تشكيل وإعادة تشكيل القيم في المجتمعات الحضرية.

فمن خلال التحولات الرقمية الحديثة، برزت قيم جديدة لم تكن بارزة في المجتمع الحضري من قبل، مثل الفردانية، والاستقلالية، والحرية، والانفتاح، والتعددية، بينما احتشمت وتراجعت بعض القيم التقليدية الأساسية مثل الجيرة، وبنية الأسرة، والتضامن. ويعني هذا أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال تسهم في ظهور قيم جديدة في المجتمع الحضري. يعكس هذا تأثير البيئة الحضرية والتكنولوجيا على إعادة تنظيم أولويات الفاعلين الاجتماعيين. كما أظهرت الدراسات أن الإعلام الرقمي، والمنصات الرقمية، ومواقع التواصل الاجتماعي، والفضاء الافتراضي شكّلت مجالا مهماً يتم من خلاله إعادة صياغة القيم والمعايير وضبطها وفق ما يعرف بـ «المدينة الشبكية». فتصبح العلاقات الاجتماعية غير مرئية، بينما يقتصر الانتماء في المدينة الشبكية على الولوج والمشاركة الحقيقية في الشبكات الرقمية. وهنا تتداخل الأبعاد الفيزيائية المادية مع الرقمية لبناء علاقات اجتماعية وتشكيل هوية حضرية محلية. وهذا يعني أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال تؤثر على العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع.

يمكن القول أن تكنولوجيات الإعلام والاتصال قد أنتجت واقع رمزيا جديدا أصبح الأفراد فيه لا يتعاملون مع الواقع المادي بل مع واقع رمزي (رقمي) يعيد تشكيل إدراكهم لمفهوم القيم وهذا ما أكدته بورديار.

إذا دراسة التغير القيمي في المجتمع الحضري ليس بالأمر السهل وتتطلب الجدية في البحث والتقصي والتحليل السوسيولوجي الجاد والابتعاد عن الاسقاطات النظرية التقنية، بل لابد من دمج تحليلي سويولوجي يجمع بين تركيبة المجتمع الحضري والبنية التكنولوجية والتركيبية الثقافية لتوسيع دائرة الفهم والتعمق في الموضوع.

اقتراحات وتوصيات:

- في ضوء ما تم طرحه من تحليل لقضية تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري يمكن وضع مجموعة من التوصيات التي خرجنا بها من خلال تحليل الظاهرة سوسيولوجيا
- الدراسة الجدية لموضوع التغير القيمي خاصة في البيئات الحضرية ولفئات عمرية مختلفة.
 - القيام بدراسات ميدانية مقارنة بين المجتمع الحضري والشبه حضري من أجل رصد طريقة التلقي الرقمي وهل هي نفسها في المجتمعين لفهم العلاقة بين التحضر أو الحضرية والرقمنة.
 - التوعية في المدارس حول المحتويات الرقمية من أجل إعادة ضبط القيم والمحافظة على القيم الأصيلة في المجتمع.
 - توصي الدراسة الراهنة على إعادة إحياء مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، المسجد ..) في مواكبة التكنولوجيا الحديثة وتربية الأبناء وفق متطلبات العصر الراهن دون التخلي عن القيم التقليدية وإنما إعادة التكيّف مع الحداثة فقط.
 - العمل على إعادة بعث الروح في الدراسات البيئية التي تشمل أكثر من تخصص لمعالجة ظاهرة معينة في المجتمع من أجل الفهم العميق والمعالجة الجدية.

قائمة المراجع:

أولا/ كتب:

1. ابراهيم محمد الشافعي، الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981.
2. أنتوني غندير، علم الاجتماع مع المداخلات العربية، ترجمة فايز الصباغ وآخرون، ط1 المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005.
3. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الأسرة والمجتمع دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2012.
4. دوداح علجية وماقري مليكة، التحولات القيمية الاجتماعية لدى الشباب الجزائري، د س، د ط، ص 176.
5. سامي مصطفى الخشاب، النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، ط1، دار المعارف، مصر 1982.
6. عبد العالي دبله، مدخل الى التحليل السوسيولوجي، منشورات مخبر المسألة التربوية في الجزائر في ظل التحديات الراهنة، دار الخلدونية، الجزائر، 2011، ص 88.
7. عبد الله الغذامي، الثقافة الرقمية: أسئلة في التحول، المركز الثقافي العربي، الرياض، 2013.
8. لطيب، مصطفى، التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الحضري: دراسة سوسيولوجية. القاهرة، دار الفكر العربي، 2015.
9. محمد الصير في ادارة تكنولوجيا المعلومات، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، 2009.

تكنولوجيا الإعلام والاتصال وانعكاساتها على التغير القيمي في المجتمع الحضري، مقارنة سوسيولوجية تحليلية

10. مصطفى الطيب، التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمع الحضري: دراسة سوسيولوجية، دار الفكر العربي، القاهرة 2015

11. معن خليل عمر، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق للتوزيع والنشر، ط2، لبنان بيروت، 1986، ص130.

ثانيا/ رسائل ومذكرات

1- بوعمامة فايزة، المجال السكني والبعد الاجتماعي دراسة ميدانية على عينة من سكان مدينة علي منجلي قسنطينة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص علم اجتماع تنظيم وتسيير المدن، 2013/2012، مذكرة غير منشورة.

ثالثا/ مقالات

1. ادريس المغزواني، مانويل كاستلز، مفهوم مجتمع الشبكات من المجتمع الى الشبكة: نحو مقارنة تأويلية للهوية والسلطة في عصر المعلومات، مجلة عمران، العدد 3/99، صيف 2020.
2. أمال علاوشيش، في نقد المجتمع الاستهلاكي، حوليات جامعة الجزائر 01، العدد 32، الجزء 3، سبتمبر 2018.

رابعا/ المواقع الالكترونية:

1. التضامن الالي والتضامن العضوي عند امايل دوركايم
<https://almerja.com/reading.php?idm=191873>
2. الإعلام الجديد ومدى تأثيره في المجتمع، <https://democraticac.de/?p=77309>

خامسا/ كتب أجنبية:

1. Boudon Raymond ,Déclin de la morale ? Déclin des valeurs ?,Presses Universitaires de France, Paris, 2002.p98.
2. Louis - Wirth,. Urbanism as a Way of Life. American Journal of Sociology VOLUME XLIV. JULY1938 NUMBER1.